الفصل الثاني

الدراسة النظرية

2.1 تمهيد

2.2 الآثار

2.2.1 مفهوم الآثار

2.2.2 أهمية الآثار

2.3 واقع الآثار في فلسطين

2.3.1 أصول الآثار في فلسطين

2.3.2 التحديات التي تواجه الآثار في فلسطين

2.3.3 من أهم آثار فلسطين

2.4 المراكز الأثرية

2.4.1 مراكز الآثار في فلسطين

2.4.2 المسارات السياحية في فلسطين

2.5 الخلاصة

2.1 تمهيد

تقتضي دورة الحياة أن يقوم كل جيل بتعمير الأرض وفق شروطه، ومتطلباته، وإمكانياته، وبعد أن يفنى أبناء ذلك الجيل تبقى ممتلكاتهم موجودة؛ لتتمكن الأجيال القادمة من استخدامها والاستفادة منها بشكل جيد. فالآثار هو مصطلح يطلق على كل ما تبقى من ممتلكات مادية للأجيال القديمة (عدنان البني، 1976)، فلا تكاد تخلو منطقة في العالم من الآثار؛ إلا أن مقدار هذا التواجد للآثار يختلف من منطقة لأخرى، فبعض المناطق تفتقر إلى وجود القطع الأثرية؛ حيث تعتبر مثل هذه المناطق فقيرة تاريخياً وحضارياً، وهناك مناطق على النقيض تكون غنية بالآثار لتعكس حجم الحضارة والتاريخ العريق لها. وفي هذه الدراسة سوف يتم التطرق لمفهوم الآثار وأهميته على نواحٍ عدة، والتحدث عن آثار فلسطين وأهم المراكز الأثرية فيها، والتي توصلنا إلى أهمية مراكز الآثار ودورها الكبير في الحفاظ على الآثار.

2.2 الآثار

2.2.1 مفهوم الآثار

تعد الآثار والتراث من أهم العناصر الأساسية للحضارة الإنسانية والثقافة الوطنية، وإن انجاز أي حضارة تعرف من خلال الآثار التي تدل عليها والتي تعبر عن تاريخها. وتمثل الرصيد الدائم من التجارب والخبرات والمواقف التي تعطي الإنسان والمجتمع القدرة على أن يواجه الحاضر، ويتصور المستقبل بوصفها من أهم مكونات الذاكرة البشرية الممتدة إلى أعمق جذور مكوناتها. (علي حمزة الخفاجي، 2014)

– تعريف الآثار: تعرف الآثار في اللغة جمع كلمة أثر وهو ما خلفه السابقون، وأثر الشيء بقيته، والأثر من الأشياء القديمة المأثورة، والمأثور هو ما ورثه الخلف عن السلف، وعرف أيضا بأنه العلامة وتقال أيضاً على لمعان السيف (ابراهيم أنيس، 2004، صفحة 5)، ويمكن أن نستنبط تعريفاً للآثار من خلال المفاهيم التي وردت في كتب المعاجم اللغوية والتي تؤدي إلى مصطلح علم الآثار، إذ عرفه مجمع اللغة العربية بأنه علم الوثائق والمخلفات القديمة (مجمع اللغة العربية، 1989). وعلم الآثار هو علم متخصص بدراسة الآثار إذ يختص بدراسة تراث الإنسان الفكري والمادي وتجاربه القديمة، بالإضافة إلى دراسة الفنون والصناعات والعلوم وغيرها. (تقي الدباغ، 1981)

– أما تعريف الآثار اصطلاحاً فيمكن القول أن الآثار أو الأثر هو كل ما أنشاه الإنسان مما هو ثابت بطبيعته، وكل ما أنتجه بيده أو فكره، وهي البقايا التي خلفها والتي لها علاقة بالتراث الإنساني، إضافة إلى بقايا السلالات البشرية والحيوانية والنباتية والآثار العقارية والفنون الإبداعية والمقتنيات الشعبية (ابراهيم أنيس، 2004، صفحة 16). وعرفه البعض الآخر بأنه (ليس قطعة حجر أو تحفة فنية أو نقشاً ملوناً لكنه راوٍ للتاريخ باعتباره مظهراً من مظاهر الحضارات المختلفة التي قامت على أرض الوطن أو كانت لها صلة تاريخية به) (أمين، 1992)، ويعرف الأثر القديم في قانون الآثار الفلسطيني لسنة 1929م على أنه أي أثر تاريخي ثابت أو منقول أنشأه إنسان أو كونه أو نقشه أو بناه أو اكتشفه أو أنتجه أو عدله قبل سنة (1700) ميلادية بما في ذلك أي جزء أضيف إلى ذلك الأثر أو أعيد بناؤه بعد ذلك التاريخ. (قانون الآثار رقم 5، 1929)

وقد ورد أيضا تعريف الآثار بالمعنى الاصطلاحي في بعض القوانين وهو " كل ما أنشأه الإنسان مما هو ثابت بطبيعته وكل ما أنتجه بيده أو فكره والبقايا التي خلفها ولها علاقة بالتراث الإنساني ويرجع عهدها إلى أكثر من مائة عام إضافة إلى بقايا السلالات البشرية والحيوانية والنباتية والآثار العقارية والفنون الإبداعية والمقتنيات الشعبية". ومن التعريفات المهمة للآثار أيضا التعريف الذي أورده قانون الآثار العربي الموحد في المادة (3) لسنة 2010، إذ عرف الأثر على النحو الآتي: يعتبر أثراً أي شيء خلفته الحضارات أو تركته الأجيال السابقة عما يكشف عنه أو يعثر عليه سواء كان ذلك عقاراً أو منقولاً يتصل بالفنون أو العلوم أو الآداب أو الأخلاق أو العقائد أو الحياة اليومية أو الأحداث العامة أو غيرها مما يرجع تاريخه إلى مائة سنة مضت. متى كانت له قيمة فنية أو تاريخية. (طه، 2012)

2.2.2 أهمية الآثار

إن للآثار أهمية كبيرة، حيث لا يمكن أن نعد الآثار شيئاً ثانوياً؛ فالعديد من الأفراد في مجتمعاتنا العربية ينظرون إليها نظرة عادية مع التقليل من أهميتها، مع أنها تحتل مكانة عظيمة، تعتبر الآثار جزءاً رئيسياً من مكونات الشعوب الثقافية، ومهما اختلفت الحياة وتطورت فهي التاريخ الذي يروى ويُحكى للعالم، وهي أحد عناصر الجذب السياحي، وأهمية الآثار والتراث تنعكس في دورها الهام في تشكيل هوية الوطن والمواطنين.

- أهمية الآثار التاريخية

إن الآثار هي سجل الحضارة الذي يسجله باطن الأرض وسطحها، والذي يدل على هوية قاطني المكان ويلقي بعض الضوء على أساليب معيشتهم ونظامهم السياسي والاجتماعي الذي كان سائداً، وهي الدليل المادي على وجود الشعب وأحقيته في أرضه التي يقيم عليها (مؤسسة القدس للثقافة والتراث، 2017)، إن للآثار أهمية في ربط الماضي بالحاضر، فمعرفة الإنسان لماضيه وحاضره تمكنه من صياغة مستقبله، وتساعد المحافظة على الآثار على المحافظة على التاريخ؛ باعتباره مصدراً رئيسياً لحفظ تاريخ البلاد وتاريخ الشعوب التي عاشت فيها، ويعكس حضارتها الأصيلة التي قامت فيها منذ القدم، كما وتسهم في تعريف جميع المواطنين بتاريخهم وحفظه من خلال تناقله بين الأجيال. (الهيئة العامة للسياحة والتراث الوطني، 2017)

- أهمية الآثار السياحية

للآثار دور مهم وحيوي في جذب السياح وبالتالي تحسين اقتصاد الدول؛ فالسياحة تشكل مصدر دخل مهم وفعال في المجتمعات والدول المختلفة خاصة في المناطق التي تحتوي على المعالم الأثرية المهمة والعديدة، وذلك لأن الناس على اختلافهم يتهافتون على رؤية العظمة في البناء والدقة في التصميم، والأفكار الخلاقة التي كانت موجود عند الأقوام القديمة، كما ويقبل السياح على المرافق السياحية المختلفة مما يعمل على تنشيط الحركة الاقتصادية في الدول التي يزورونها، بالإضافة إلى تنشيط الحركة التجارية في المواسم السياحية. (أيمن الحماد، 2016)

- أهمية الآثار الاقتصادية

تكمن أهمية الآثار الاقتصادية في كونها مساهماً رئيسياً في دعم الاقتصاد سواء بشكل مباشر أم غير مباشر، ومن أبرز الأوجه الاقتصادية التي تساهم الآثار في دعمها هي توفير فرص عمل وتقليل نسب البطالة، حيث يؤدي استثمار الآثار والمواقع الأثرية المختلفة خاصة في المناطق والمحافظات والمدن والقرى النائية والبعيدة إلى إيجاد أدوار وظيفية اقتصادية للشباب في تلك المناطق؛ الأمر الذي يحقق الاستقرار السكاني ودعم العائلات المحتاجة. في هذا المجال، يعد القطاع السياحي القطاع الأول في إيجاد فرص العمل على مستوى العالم، حيث تشير الأرقام إلى أن الوظائف التي يساهم القطاع السياحي في توفيرها تتراوح بين 7٪ - 8٪ من إجمالي حجم التوظيف في سوق العمل، التي تعبر عن نسبة عالية من الوظائف التي يتطلبها مجال الخدمات

السياحية، بالإضافة إلى أن قطاع السفر والسياحة الذي يساهم في زيادة الناتج المحلي الإجمالي (من 3% إلى 5% عالمياً)، والتي تشكل الآثار والتراث أحد عناصر الجذب الأساسية فيها، وبذلك؛ يساهم استغلال الآثار بالطريقة الصحيحة في إيجاد اقتصاد قوي ومتكامل، ودعم طاقات الشباب. (منظمة السياحة العالمية، 2017)

- أهمية الآثار الاجتماعية

تلعب الآثار دوراً مهماً من الناحية الاجتماعية؛ حيث إن مكانتها وأهميتها الاجتماعية تكمن في الدور الذي تلعبه في تكوين هوية المواطن، ومن أبرز أوجه الآثار هي التراث العمراني؛ الذي يشكل حلقة وصل بين الماضي والحاضر، مما يوجد رابطة قوية بين الوطن والمواطن ويسهم في تعريفه بتاريخه وحضارته وقيم أجداده وطرق حياتهم؛ الأمر الذي ينعكس إيجاباً على زيادة الانتماء لدى المواطنين لبلدهم وحضارتهم، وتسهم في تقريبهم من تاريخ وطنهم. (سلطان سلمان عبد العزيز، 2011)

2.3 واقع الآثار في فلسطين

2.3.1 أصول الآثار في فلسطين

تقع فلسطين في جنوب غرب قارة آسيا في الجزء الجنوبي للساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط، وهي بذلك تقع في قلب العالم القديم؛ ما يجعلها جسراً برياً يربط بين قارتي آسيا وإفريقيا، وبين البحر المتوسط والبحر الأحمر، ومن ثم المحيط الأطلسي والمحيط الهندي. وبالنسبة للوطن العربي؛ فإن فلسطين تقع في الجناح الآسيوي منه، جنوب غرب بلاد الشام بين البحر المتوسط غرباً ونهر الأردن شرقاً. (مركز المعلومات الوطني الفلسطيني، 2011)

ظلت فلسطين حلقة وصل بين حضارات وثقافات لأمم مختلفة؛ ما انعكس عليها إيجابياً من بعض النواحي؛ وسلبياً من نواحٍ أخرى؛ فانتشرت فيها المدن والقرى وازدهرت التجارة من جانب؛ وفي الجانب الآخر تعرضت لأطماع الأعداء والغزاة ممن طمع في فلسطين وموقعها الاستراتيجي سواء بالنسبة لموقعها على ساحل البحر المتوسط ووجود الموانئ الطبيعية فيها؛ أو لموقعها بالنسبة للوطن العربي الذي تستمد فلسطين منه أهمية أخرى لما يتمتع به الوطن العربي من موقع استراتيجي وسط العالم (مركز المعلومات الوطني الفلسطيني، 2011). عاشت فلسطين غالباً في خطر، ولا شك أن الخطر داهم فلسطين عندما ظهرت القوى المتصارعة على مناطق النفوذ، وقد

تمثل ذلك في الحروب الدينية والأطماع الاستعمارية الحديثة. وحاربت فلسطين مراراً طوال تاريخها القديم والحديث للدفاع عن نفسها. ويلاحظ أن كل من سيطر عليها حارب فيها أو عنها، مثلما فعلت الأمم التي تكالبت عليها كالبابليين والأشوريين والرومان والصليبيين والانكليز والصهاينة. وكذلك، كان هناك دائماً عدو طامع بها. وفلسطين اليوم ترزح تحت نير الاستعمار الصهيوني منذ عام 1948. وتحاول الصهيونية أن تتخذها قاعدة انطلاق لغزو البلدان العربية المجاورة، بل والبعيدة، والسيطرة عليها. (الموسوعة الفلسطينية، 2015)

وقد توالت العصور والشعوب على مر الزمان في أرض فلسطين بدءاً من العصور القديمة، إلى سدوم وعمورة، العرب قبل الإسلام في فلسطين، كنعان، الفراعنة، العبرانيون، اليبوسيون، الفلسطينيون، الآراميون، الفينيقيون، آشور، الهكسوس، العصر الهلينستي، قبيلة ثمود، الأنباط، الغساسنة، الراشدون، الأمويون، العباسيون، الفاطميون، السلجوقيون، الفرنجة، مملكة القدس اللاتينية، البنادقة، الآيوبيون، التتار، المماليك والشركش، العثمانيون، الانتداب البريطاني ثم الاحتلال الصهيوني. (الموسوعة الفلسطينية، 1984)

امتزج الفلسطينيون بالكنعانيين بسرعة واستعملوا لغتهم وعبدوا آلهتهم، وسيطروا على صناعة وتجارة الحديد ومنه استمدوا قوتهم العسكرية. وأسس الفلسطينيون في القرن الثاني عشر قبل الميلاد خمس مدن رئيسة هي غزة وجات وأسدود وعسقلان وأكرون وكانت كل مدينة دويلة مستقلة بذاتها، ومع ذلك كثيراً ما تحالفت هذه المدن لصد العدوان الخارجي. يرجع تاريخ وجود العرب في فلسطين إلى الألف الأول قبل الميلاد، وهنا كما يدل على حرب الملك البابلي لهم في فلسطين في الألف الثالث ق.م. وقد كانت فلسطين ضمن ما عرف بالعرب الحجرية والتي وقعت تحت سيطرة الرومان، وقد قسمت فلسطين إلى ثلاثة أجزاء؛ هي فلسطين الأولى والثانية والثالثة وكانت كل منها عبارة عن مدينة مركزية تتبعها بقية المنطقة المحيطة. أطلق اسم كنعان على المنطقة الواقعة بين نهر العاصي شمالاً والعريش جنوباً، وهي حدود المملكة المصرية القديمة، وضمت المنطقة فلسطين وفينيقية. ومن الثابت أن سكان فلسطين الأصليين القدماء كانوا كلهم عرباً من الساميون، هاجروا من جزيرة العرب إثر الجفاف الذي حل بها، فعاشوا في وطنهم الجديد "كنعان" ما يزيد على الألفي عام قبل ظهور النبي موسى وأتباعه على مسرح الأحداث. (الموسوعة الفلسطينية، 1984)

2.3.2 التحديات التي تواجه الآثار في فلسطين

تعتبر الآثار من أهم ميادين الصراع الفلسطيني، فمنذ عام 1967 جرت عدة تنقيبات أثرية صهيونية منظمة وإنقاذية في مئات المواقع الأثرية في انتهاك صريح للقانون الدولي، وكان الهدف من التنقيبات إعادة كتابة تاريخ هذه المواقع بما يخدم الإدعاءات الإستيطانية في فلسطين؛ لخلق صلة بين الماضي والحاضر (ويتلام كيت، 1999)، ولم يتوقف النشاط الصهيوني على ذلك بل توسع ليشمل نهب المواقع الأثرية ونقلها والسيطرة عليها بإنشاء مستوطنات عسكرية عليها، أو لبناء جدار الفصل العنصري.

تتعرض الآثار في الأراضي الفلسطينية المحتلة لتزايد عمليات سرقتها والاتجار بها في إسرائيل خاصة بعد انتفاضة الأقصى عام 2000م. حيث تعرض ما يزيد عن 500 موقع أثري وأكثر من 1500 معلمة أثرية فرعية للسرقة والتدمير من قبل لصوص الآثار والاحتلال الإسرائيلي إلى جانب تعرض عدد من مراكز القرى التاريخية لأعمال التدمير الكلي أو الجزئي. (دائرة الآثار والتراث الثقافي الفلسطينية، 2007)

يحظر القانون الدولي الانساني إجراء تنقيبات أثرية منظمة في الأراضي المحتلة، أما الإكتشافات العرضية فيجب على الدولة المحتلة اتخاذ كافة التدابير من أجل حمايتها وتسليمها إلى السلطة الوطنية المختصة. (اتفاقية لاهاي، 1954)، ورغم هذا الحظر إلا أن السلطات الصهيونية قامت بتنفيذ مئات التنقيبات الأثرية في أراضي فلسطين، حيث جرى ما يزيد عن 900 عملية تنقيب إنقاذية ومنتظمة منها 170 حفرية في القدس ومحيطها. هدفت تلك التنقيبات السيطرة على موارد التراث في الأراضي المحتلة، حيث العلاقة الوثيقة بين مواقع التنقيبات والمستوطنات الإسرائيلية والجدار الفاصل؛ مما يدل إلى توظيف الآثار في خدمة الاستيطان (Taha, 2015)، بالإضافة إلى العديد من التنقيبات والمستوطنات في المناطق المأهولة، حيث يتم فرض السيطرة المباشرة عليها. والتي من أبرز أمثلتها الحرم الإبراهيمي في الخليل وإحياء البلدة القديمة ومسجد بلال بن رباح في بيت لحم وغيرها. وتجدر الإشارة إلى استخدام الرموز التاريخية لخدمة المشروع الاستيطاني بالسيطرة الكلية أو الجزئية على الرموز الدينية والأماكن الدينية، هذا إلى جانب المحاولات الدائمة للسيطرة على الرموز الدينية في القدس. (وزارة السياحة والآثار، 2009)

2.3.3 من أهم آثار فلسطين

أولاً: الحرم القدسي

يعتبر المسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين ومسرى نبي الإسلام محمد ﷺ. وهو ثاني مسجد وضع في الأرض بعد المسجد الحرام، وكان اسم المسجد الأقصى قديما يطلق على الحرم القدسي الشريف وما فيه من منشآت حيث تبلغ مساحته 144.000 متر مربع، يتكون المسجد الأقصى من عدة أبنية، ويحتوي على عدة معالم يصل عددها إلى مئتي معلم، منها قباب وأروقة ومحاريب ومنابر ومآذن وآبار، وغيرها من المعالم. ويشمل كلا من قبة الصخرة المشرفة (القبة الذهبية) والموجودة في موقع القلب منه، والجامع القبلي (ذي القبة الرصاصية السوداء) الواقع أقصى جنوبه ناحية القبلي، وله أربعة عشر باباً. وأهم المنشآت فيه قبة الصخرة التي بناها الخليفة عبد الملك بن مروان عام (691 للميلاد) مع المسجد الأقصى، وتعد واحدة من أروع الآثار الإسلامية (الجزيرة.نت، 2017)، والمسجد الأقصى من ناحية معمارية يعد من أجمل الآثار وما هو إلا متحف معماري. (المدينة المقدسة، 2009) انظر الشكل (2.1) الذي يبين الحرم القدسي.



شكل(2.1): صورة جوية للمسجد الأقصى من الجهة الجنوبية

المصدر: موقع إلكتروني (Google Maps)

ثانياً: كنيسة المهد

تعتبر كنيسة المهد من أقدم الكنائس في العالم، قام ببنائها الإمبراطور قسطنيين عام 326 ميلادي فوق الكهف الذي ولد فيه السيد المسيح، معالم الكنيسة الجوهرية لم تتغير منذ أن قام الإمبراطور جستينيان بإعادة بنائها. تم الكشف عن أرضية من فسيفساء قديمة عام 1933 (مركز حفظ التراث الثقافي، 2017)، ومع مرور الوقت وُسعت

كنيسة المهد بإضافة عدة كنائس وأديرة. تشتمل كنيسة المهد اليوم على كهف الميلاد، بالإضافة إلى المناطق المجاورة لها، ودير الروم الأرثوذكس؛ دير الأرمن، ودير مار جيروم، وكنيسة سانتا كاترينا، وقد تم تصغير مدخل باب الكنيسة في القرن العاشر لمنع دخول الجياد إلى داخلها (مركز حفظ التراث الثقافي، 2017)، كما يظهر في الشكل (2.2)

وقد حققت فلسطين أول انتصار "تاريخي" تجلى بموافقة الأمم المتحدة على إدراج كنيسة المهد ومسار الحجاج في بيت لحم بالضفة الغربية على قائمة التراث العالمي في حزيران عام 2012، أما المواقع التي تم الاعتراف بها في قائمة التراث العالمي فحدودها–إلى الشرق– كنيسة المهد والأديرة الثلاثة وهي دير الروم الأرثوذكس، ودير الفرنسيسكان، ودير الأرمن، جنباً إلى جنب مع مساحة صغيرة من الأرض إلى الشرق منها، وإلى الغرب، طريق الحجاج، في مجموع طول يبلغ 712م، والذي يعرف الآن بشارع النجمة، بالإضافة إلى جزء من شارع بولس السادس والجانب الشمالي من ساحة المهد. (بلدية بيت لحم، 2014)



شكل (2.2): كنسية المهد وجزء من ساحة المهد

المصدر: (بلدية بيت لحم)

ثالثاً: كنيسة القيامة

هي من أشهر الأماكن المسيحية المقدسة ليس في القدس وحسب بل على مستوى العالم كله. وكنيسة القيامة بنتها الملكة هيلانه أم الامبراطور قسطنطين الكبير، وهي منذ تلك الفترة وحتى اليوم تمثل وجهة الحج المسيحي. تزخر عمارة الكنيسة بالمشاهد الجمالية الفنية، فهي نموذج مشرق لرقي فن العمارة وهندستها وما زال بهاؤها ظاهراً حتى اليوم ماثلاً أمام الناظرين. كما تمثل الكنيسة تزاوجاً معمارياً فريداً بين المدارس الفنية المختلفة خاصة الشرقية والغربية. وكنيسة القيامة مجمع معماري كبير، والذي أشرف على بناء الكنيسة وهندستها زنوبيوس

المهندس العربي التدمري. وطول الكنيسة نحو ثمانين متراً وعرضها ستة وستين متراً. انظر الشكل (2.3) (موقع المدينة المقدسة، 2009)



شكل (2.3): كنيسة القيامة

المصدر: (الوكالة العربية الدولية للأنباء)

رابعاً: سبسطية

تقع بلدة (سبسطية) على بعد 13 كم شمال غرب مدينة نابلس، وتبلغ مساحة أراضيها 5066 دونماً. يوجد بالقرب من القرية الحالية العديد من الحفريات، حيث تم الكشف عن آثار لمدينة إغريقية رومانية بكامل مرافقها، بحيث كشف عن شارع معبد، وساحات، وأعمدة، وبزيليكا، وأبراج ومعبد زيوس، ومدرج (مسرح)، وغيرها من المرافق العامة التي اشتهرت بها المدن الرومانية. وتضم البلدة، آثاراً بيزنطية، حيث نجد في وسط القرية الحالية جامعاً قديماً هو (مقام النبي يحيى) الذي أقيم على أنقاض كنيسة بيزنطية، ويوجد في البلدة العديد من المواقع الأثرية منها: البازيليكا والساحة الرومانية العامة كما يظهر في الشكل (2.4)، المسرح والذي يظهر في الشكل (2.5)، البرج الدفاعي الهيليني، معبد أغسطس، شارع الأعمدة، سور وبوابات المدينة، الملعب (الستاد)، مسجد سيدنا يحيى (الكتدرائية الصليبية)، مقبرة القبة (المقبرة الملكية) (هاني بياتنة، 2015)، إن الآثار الموجودة على السطح حاليا، والتي نقبت عنها بعثه من الآثار من جامعة هارفرد، تشكل عشرين بالمائة فقط من مجمل الآثار فيما تحتضن الأرض باقي هذه الآثار ولم يتم التنقيب عنها بعد. (آثار سبسطية تكذّب رواية الاحتلال، 2016)





شكل (2.4): الساحة الرومانية شكل (2.5): مسرح سبسطية

المصدر: (مجلة آفاق البيئة والتنمية)

هنا يجدر الإشارة إلى عبث الاحتلال الممنهج في هذه الأماكن الأثرية السابقة الذكر، لاسيما سرقة آثارها ووضعها في المتاحف الإسرائيلية، عدا عن محاولاتهم المستمرة لتغيير المعالم السياحية فيها، ونقلهم الكثير من القطع الأثرية إلى أماكن أخرى لتغيير التاريخ وتهويد المناطق الأثرية.

2.4 المراكز الأثرية

إن فكرة الحفاظ على الآثار ليست بجديدة، بل هي موجودة منذ القدم لكنها تطورت عبر العصور القديمة، في البداية تم اعتبار المباني ذاتها آثاراً قيمة من الكنائس المقدسة وأماكن العبادة المختلفة في العصور الوسطى، ثم توسع المفهوم ليشمل مباني القصور بما تحويه من تحف في فترة الفتوحات الإسلامية، حيث اعتبرت تلك المباني نقطة إنطلاق لمفهوم المتحف الذي يضم قاعة تماثيل وقاعة صور وزينة للمجوهرات والأشياء النادرة. وفي إبان القرن السابع عشر ومن بداية القرن الثامن عشر كان هناك اتجاه بالاهتمام بالقاعات الكبرى فظهرت في اللوفر "قاعة المريان"، ولكن العنصر المهم في تطوير المتحف وهو ضرورة فتحه للجماهير الذي لم يكن موجوداً في عصر النهضة. لذا كان فتح أبواب متحف كابيتولينو في روما عام 1734 للجمهور حدثاً هاماً في تاريخ تطور المتحف.

وفي العصر الحديث كان أول من اهتم بالمتحف والمحافظة عليه هي مصر، وفي زمن محمد علي باشا صدر مرسوم سنة 1835م يستهدف حماية الآثار، وذلك على خلفية تهريب الآثار خارج مصر ونهبها. وفي عام 1881 صدر مرسوم ملكي بإنشاء وتشكيل لجنة حفظ الآثار العربية حدد فيه جرد الآثار وصيانتها، وفي عام 1895م تم

افتتاح متحف الآثار اليونانية والرومانية في الإسكندرية. وفي الجزائر تم افتتاح متحف الآثار عام 1897م، وفي ليبيا تم افتتاح متحف الآثار الكلاسيكية بطرابلس، وفي سوريا تم افتتاح المتحف الوطني، ومتحف التقاليد الشعبية. (موقع الإتحاد، 2013)

في الوقت الحالي توسع مفهوم الحفاظ على الآثار ليضم فعاليات أوسع وأدرج تحت مفهوم مراكز آثار، ليحقق الهدف الأساسي بحماية الآثار من الإندثار، إلى جانب توفير مرافق إضافية لخدمة قطاع السياحة وبالتالي دعم القطاع الإقتصادي.

2.4.1 مراكز الآثار في فلسطين

نظراً للمكائد التي تستهدف هوية الشعب الفلسطيني بإنكار تاريخه، ومحو كل ما يثبت أحقيته بأرضه؛ كان لا بد من المحافظة على التراث بكل تفاصيله من خلال إنشاء سلسلة من المتاحف التي تسلط الضوء على الحقائق التاريخية الموغلة في القدم، فتوثق الأحداث والثورات وتظهر الجوانب المضيئة والقاتمة التي تعرض لها سكان فلسطين، وتحفظ تراثه وموروثه الثقافي فهي مكان يحفظ بين ثناياه تاريخ وطن ويروي قصة حضارة لكل قطعة أثرية موجودة فيه. فتنشط الذاكرة الثقافية وتربط الحاضر بالماضي للإفادة من دروسه وتجنب عثراته. وتتنوع التهديدات والتحديات التي تواجه التراث الفلسطيني، إلا أنها تشترك في جديتها وصعوبة حلها. وبعض هذه الأخطار ذاتي محلي المنشأ، مثل التنقيب غير القانوني، وغياب تطبيق القوانين الوطنية التي تحمي الآثار، وضعف الاهتمام الشعبي والرسمي بهذا الأمر، وبعضها الآخر يتمثل في الاتجار بالآثار، وقوانين الآثار الإسرائيلية، وسلسلة المستعمرات والطرق الاستيطانية والمعسكرات والجدران، والأسوار وأبراج الحراسة التي تبنيها إسرائيل على امتداد الضفة الغربية ولا شك في أنه أحد المستلزمات الرئيسية لمواجهة هذه التحديات البداية من مركز يحفظ تلك الآثار، ووصولاً إلى اعتماد خطة وطنية شاملة لحماية تراث فلسطين الثقافي، يكمن في تحليل مفصل لهذه الأخطار في ظل وضع سياسي واقتصادي معقد للغاية. (عادل يحيى، 2008)

وفي فلسطين العديد من المتاحف التي تهتم بجمع كنوز أثرية ومقتنيات ومنحوتات ورسومات ومخطوطات ذات قيمة تاريخية، وعلمية، وفنية؛ وجعلها متاحة للجمهور، من خلال المعارض التي قد تكون دائمة أو مؤقتة. ومن المتاحف الفلسطينية: متحف فلسطين الأثري في القدس، متحف رام الله، متحف بيتنا التلحمي القديم في بيت

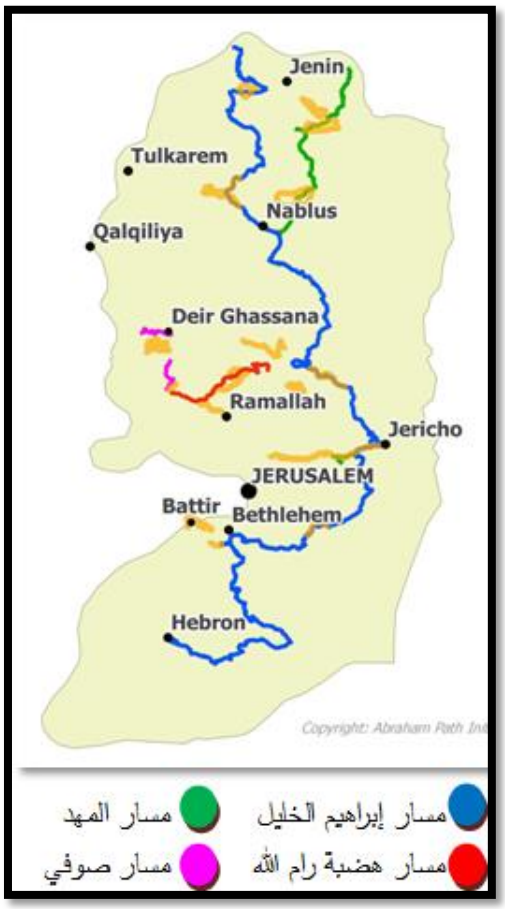
لحم، متحف قلعة مراد الأثرية في قرية ارطاس، متحف فلسطين جنوب شرق فلسطين (مركز المعلومات الوطني الفلسطيني، 2011). تأسس أول متحف في فلسطين بأمر من المجلس الإسلامي الأعلى في فلسطين عام 1923م، وهو المتحف الإسلامي. واتخذ المتحف الرباط المنصوري الذي يعود تاريخ إنشائه إلى الملك المنصور قلاوون مقراً له عند تأسيسه. ثم تلاه متحف فلسطين الأثري، الذي يقع عند الزاوية الشمالية الشرقية من سور مدينة القدس، فهو يعد من أغنى المتاحف، وقد وضع حجر الأساس للمتحف في 1930؛ وفي سنة 1935 انتهت عملية البناء، وقد فتح المتحف أبوابه للجمهور عام 1938. وقد تم احتلاله بالكامل من قبل دائرة الآثار الإسرائيلية. ثم متحف التراث الشعبي الفلسطيني الذي تأسس على يد السيدة هند الحسيني في العام 1962؛ بهدف تعريف العالم والجمهور المحلي على حد سواء بالتراث الفلسطيني الشعبي العريق. ثم توالت المتاحف بالنشوء تدريجياً. (مركز المعلومات الوطني الفلسطيني، 2011)

إلا أن فكرة مراكز الآثار فهي مفهوم واسع يتضمن متاحف الآثار، ويتوسع ليشمل خدمات أخرى متعددة، بحيث تشتمل على مشاغل لترميم القطع الأثرية، مسرح على الأقل وقاعات متعددة الاستخدام، مع توفير جانب خدمات للسائحين من مطعم وبيت للضيافة (مبيت)، بحيث يكون نظاماً متكاملاً يحوي جميع الخدمات التي تتطلبها المناطق السياحية بالإضافة إلى الهدف الرئيس وهو معرض للآثار يحافظ على الآثار ويعزز الهوية الفلسطينية. إن من أهم أهداف المشروع المقترح (مركز الآثار) الحفاظ على التراث الفلسطيني وإعادة استخدامه، بناء قدرات محلية في مجال تقنيات الترميم ومنهجيات إعادة التأهيل، توفير فرص عمل، وتحسين الظروف المعيشية للسكان المحليين، تعزيز وعي المجتمع بقيمة وأهمية التراث بالإضافة إلى توفير الخدمات التي يحتاجها القطاع السياحي بحيث توفر تسهيلات وتحسينات إيجابية مما يشكل نقطة جذب للسائحين.

2.4.2 المسارات السياحية في فلسطين

في السنوات الأخيرة، أصبح المشي في الهواء الطلق في الضفة الغربية نشاطاً أكثر بروزاً للترفيه المحلي والسياحة والتعليم. إن المشي في الريف في الضفة الغربية ليس جديداً، سواء كنشاط فردي للترفيه، وسيلة لاستكشاف الطبيعة والتنقل في الأراضي المقدسة، والحج الديني، أو كأداة تعليمية. حتى المشي في بداية القرن العشرين، كان المشي وسيلة النقل الرئيسية حتى الآن لا يزال المشي وسيلة هامة للاتصال بالأرض، والتعلم عن التراث والطبيعة، والثقافة والناس.

الضفة الغربية هي موطن لمجموعة من مسارات المشي، مع ثلاثة مسارات طويلة تمتد لعدة أيام، هناك درجة كبيرة من التداخل بين هذه الطرق المختلفة، حيث أن بعض المجتمعات المحلية هي جزء من العديد من الممرات والأدلة ومشغلي الرحلات السياحية الذين يعملون على طول الطرق المختلفة والأسر المضيفة أو بيوت الضيافة أو الفنادق التي تستضيف المسافرين على طرق مختلفة. تبدأ المسارات السياحية من أقصى الشمال في الضفة إلى الجنوب في الخليل كما هو موضح بالشكل (2.6). يعتبر مسار إبراهيم الذي يمتد من الشمال إلى الجنوب عبر الضفة الغربية هو أطول مسار ومنصة تتداخل مع معظم المسارات والمبادرات المجتمعية الأخرى. (موقع إبراهيم الخليل، 2017)



شكل (2.6) المسارات السياحية في الضفة الغربية

المصدر : (/http://abrahampath.org)

2.5 الخلاصة

لقد تم في هذا الفصل التعرف على مفهوم الآثار وأهميتها وتاريخ نشأة مراكز الآثار، ومن خلال معرفة واقع الآثار في فلسطين والتحديات التي تواجهه من تدمير وإتجار وتهويد، تبين الحاجة إلى مثل هذه المراكز لضمان الحفاظ عليها وتوثيقها. كما توصلنا من خلال ربط المشروع المقترح في المسارات السياحية أنه يؤدي إلى زيادة النشاط السياحي في المنطقة وبالتالي تطوير الإقتصاد.

رغم وجود القوانين التي تؤكد على أهمية الحفاظ على الآثار؛ إلا أن ممارسات الاحتلال تشكل العائق الأكبر فيما يتعلق بالالتزام بتلك القوانين، إلى جانب قلة الوعي لدى الأفراد بخصوص تقدير قيمة الآثار.